هاجر – المصرية

(امرأة في مواجَهَةِ الصِّعاب)

هاجر ـ المصرية

(امرأة في مواجَهَةِ الصِّعاب)

هي هاجر المصرية أم إسماعيل، وهي رحم رسول الله ﷺ حيث قال: (**إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمَّة ورحمًا**)[1].

وكانت هاجر -ولا تزال- المثل الأعلىٰ لوفاء الزوجة والقدوة الحسنة في طاعة زوجها وتنفيذ أوامره، فقد تحمَّلت مع زوجها إبراهيم عليه السلام مشاق الهجرة والأسفار والانتقال من بلد إلىٰ بلد، فلم تتمسك بالبقاء في وطنها مصر حيث الخيرات وطيب الهواء، فهاجرت معه إلىٰ الشام، ونزلا بمكان يسمىٰ اسمه (**السبع**) من أرض فلسطين، وحفر بها بئرًا واتخذ بها مسجدًا، ولعل هذا المكان هو ما يسمىٰ (**بئر السبع**) بفلسطين الآن.

ثم قبلت هاجر نقلها هي وابنها إسماعيل من أرض فلسطين بلد الخيرات الوفيرة والمياه العذبة إلىٰ الإقامة في مكة؛ في صحراء قاحلة لا زرع ولا نبات ولا ماء، وأمر إبراهيم هاجر أن تقيم عريشًا فوق صخرة، ثم دعا ربه ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:37]، ثم انصرف إبراهيم فجرت وراءه هاجر، وهي تقول: إلىٰ من تكلنا؟؟ فجعل لا يرد عليها فقالت: آلله أمرك بهذا؟ فقال: نعم قالت: إذًا لن يضيعنا.

*هل يوجد في عصرنا من تسلم أمرها لله إذا ضاق عليها عيشها كهاجر رضي الله عنها ؟

تحدي الظروف:

كان مع هاجر شنّة فيها ماء فنفد الماء، وكان جو الصحراء حارًّا فعطشت، وعطش الصبي، واشتد بهما الظمأ، فنظرت أي الجبال أدنىٰ إلىٰ الأرض، فصعدت الصفا (**ملحوظة..... جبل الصفا الآن أقل بكثير من طبيعته وارتفاعه الحقيقي عندما**

(1) رواه مسلم في صحيحه (2543)، باب وصية النبي بأهل مصر، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

صعدته أمنا هاجر) وتسمّعت عليها تسمع صوتًا أو ترىٰ إنسيًا، فلم تسمع صوتًا ولم ترَ أحدًا، ثم إنها سمعت صوت سباع الوادي نحو ابنها إسماعيل فأقبلت إليه مهرولة بسرعة، ثم صعدت المروة، وهكذا أخذت تسعىٰ بين الصفا والمروة سبع مرات، فكان هذا ركنًا من أركان الحج بعد ذلك.

تخيل معي مدىٰ الاضطراب والمشقة خلال هذا السعي والخوف علىٰ الابن والخوف من المجهول والخوف من الموت، وتأمل كيف أصرت علىٰ السعي رغم هزال الجسد من الجوع والعطش وحرارة الشمس، وقد أخذت تدعو ربها في ضراعة وتستغيث به إلىٰ أن سمعت صوت الماء، فقالت: صه، ثم رأت عينًا يفيض منها الماء العذب تحت قدم إسماعيل، وكان الماء يتدفق فخافت من تسرب الماء في جوف الصحراء، فأخذت تجمع الرمال بيديها حول الماء وهي تقول: زم.. زم..زم.. ولذلك سمي **(بئر زمزم)**.

نلاحظ أنها تتحدث وتتكلم وتتفاعل رغم الظروف التي وضعت فيها إلا أنها تحاول أن تبحث عن حل للمشكلة، وتأخذ بجميع الأسباب للخروج من المأزق رغم ما يبدو من ظلام الأفق في الخروج منه، وهذه هي أول خطوة في حل المأزق، وهو الأمل في إيجاد الحل مع التوكل علىٰ الله فيه، وهذا لا يتوفر إلا لمن كان لها قلب مؤمن بالله حق الإيمان.

وظلت هاجر مع ولدها وحيدين حتىٰ مرت جماعة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير علىٰ الجبل، فقالوا: إن الطير لحائم علىٰ ماء، فاقتربوا من المكان، فإذا هم بالماء، فطلبوا منها أن يعيشوا بجوارها لينتفعوا بالماء، فأذنت لهم، واستأنست بهم، وكانت تأخذ أجر الماء لتعيش به وتنفق علىٰ ابنها، إنها امرأة تعرف كيف تحسن التصرف وتتغلب علىٰ ضعفها وحاجتها.

تربية امرأة

عاشت هي وولده إسماعيل في جوار آمن وكان إبراهيم يزور هاجر وابنها في كل عام مرة أو مرتين إلىٰ أن شبَّ إسماعيل، وأصبح قادرًا علىٰ العمل والكسب، من الذي رباه؟ لقد أحسنت هاجر تربيته وحدها في ظل هذه الظروف الصعبة، وهكذا هي المرأة عندما تقويها عزيمة الإيمان والإصرار علىٰ مواصلة الطريق والرضا بما قضاه الله..... فتصبر وتنجح وتفوق الرجال في قوة إرادتها.

ابتلاء الذبح

ثم يأتيها ابتلاء آخر لنتصور امرأة وحيدة ليس لها في الدنيا سوىٰ ولدها التي شقيت من أجل تربيته علىٰ أحسن وجه، ماذا تفعل عندما ترىٰ أباه يأتي ليذبحه؟ هل تستطيع أم أن قلبها يتحمل كل هذا؟ ولكنه الإيمان الذي كانت تحمله أمنا هاجر بين جوانبها وحبها لرب العالمين جعلها تتحمل أشد البلاءات وأكثرها قوة، واستطاعت أن تقهر الشيطان، وأن ترضىٰ بقضاء الله تعالىٰ في تسليم وإذعان دون ضجر ولا سخط، فرفع الله البلاء وفدىٰ ولدها بذبح عظيم ينزل من السماء، وخلد هذا الموقف علىٰ مر الزمان ليكون نبراسًا للمؤمنين في كل عصر.

ملامح الشخصية:

إن ملامح شخصية هاجر رضي الله عنها تمثل في الغالب شخصية المرأة المصرية الأصيلة ومنها:

* اللين والطبع الهادئ الجميل.
* قوة العاطفة والحنان الزائد في تربية الولد.
* الصبر وقوة التحمل في الشدائد والمحن.
* الرضا بالقضاء والقدر.

خواطر وعبر:

* الصبر والاستسلام عند ضيق ذات اليد ، والتوكل علىٰ الله وحده في ذلك؛ فالرزق بيد الله وحده يرزقه من يشاء.
* الإيمان يبعث الأمل ، ويمد المرء بالعزيمة؛ فلا ييأس من حل المشكلات ، وقد أعطت لنا أمنا هاجر القدوة الحسنة في ذلك.
* تعلمنا أمنا أيضا الإصرار ، والصبر حتىٰ نجتاز مزالق الطريق علىٰ مدىٰ الحياة ، وذلك في طاعة الله تعالىٰ.
* التحلىٰ بالصبر عند البتلاء في الأبناء.

* * *